قصيدة

المواكب

جبران خليل جبران

المواكب

الخـيرُ فـي النـاس مصنـوعٌ إذا جـبروا

والشـرُّ فـي النـاس لا يفنـى وإنْ قُـبروا

وأكـــثرُ النـــاس آلاتٌ تُحركـــها

أصـــابعُ الدهـــر يومـــاً ثـــم تنكســـرُ

فـــلا تقولـــنَّ هـــذا عـــالمٌ علـــمٌ

ولا تقولـــنَّ ذاك الســـيدُ الوقـــرُ

فـأفضلُ النـاس قطعـانٌ يسـير بـها

صـوتُ الرعـاةِ ومـن لـم يمـش يندثـرُ

ليـــس فـــي الغابـــات راعٍ لا ولا فيـــــها القطيـــــعْ

فالشـــتا يمشـــي ولكـــنْ لا يجاريـــــــه الربيـــــعْ

خلـــقَ النـــاسُ عبيـــداً للـــذي يـــأبى الخضـــوعْ

فـــإذا مـــا هـــبّ يومـــاً ســـائراً ســـارَ الجميـــعْ

أعطنـــي النـــاي وغـــنّ فالغنـــا يرعـــى العقـــول

وأنـــينُ النـــاي أبقـــى مـــن مجيـــدٍ وذليـــلْ

❖ ❖ ❖

ومـــا الحيـــاة ســـوى نـــوم تـــراودهُ

أحـــلامُ مـــن بمـــراد النفـــس يـــأتمرُ

والسـرّ فـي النفـس حـزن النفـس يسـترهُ

فـــإن تولـــى فبـــالأفراح يســـتترُ

والسـر فـي العيـش رغـدُ العيـش يحجبـه

فـــإن أزيـــل تولـــى حجبـــهُ الكـــدرُ

فـإن ترفعـــت عـــن رغـــدٍ وعـــن كـــدر

جـاورت ظـلَّ الـذي حـارتْ بـه الفكـرُ

❖ ❖ ❖

ليس في الغابات حزنٌ ... لا ولا فيها الهمومْ

فإذا هبّ نسيمٌ ... لم تجيء معه السمومْ

ليس حزنُ النفس إلا ... ظل وَهْمٍ لا يدومْ

وغيومُ النفس تبدو ... منْ تناياها النجومْ

أعطني الناي وغنِّ ... فالغنا يمحو المحنْ

وأنينُ الناي يبقى ... بعد أن يفنى الزمنْ

❖ ❖ ❖

وقلَّ في الأرض من يرضى الحياة كما

تأتيه عفواً ولم يحكم به الضجرُ

لذاك قد حوَّلوا نهر الحياة إلى

أكواب وهم إذا طافوا بها خدروا

فالناس إن شربوا سُرّوا كأنهم

رهن الهوى وعلى التخدير قد فُطروا

فذا يُعربدُ إن صلى وذاك إذا

أثرى وذلك بالأحلام يختمرُ

فالأرض خمّارةٌ والدهرُ صاحبُها

وليس يرضى بها غير الألى سكروا

فإن رأيت أخا صحو فقل عَجَباً!

هل استظل بغيم ممطر قمرُ؟

❖ ❖ ❖

ليس في الغابات سكرٌ ... من مدامٍ أو خيالْ

فالسواقي ليس فيها ... غير إكسير الغمامْ

إنما التخديرُ ثديٌ ... وحليبٌ للأنامْ

فإذا شاخوا وماتوا ... بلغوا سن الفطامْ

أعطني الناي وغنّ ... فالغنا خيرُ الشرابْ

وأنينُ الناي يبقى ... بعد أن تفنى الهضابْ

❖ ❖ ❖

والديـنُ فـي النـاس حقـلٌ ليـس يزرعـهُ

غـيرُ الألـى لـهمُ فـي زرعـهِ وطـرُ

مـن آمـل بنعيـم الخلـد مبتشـر

ومـن جـهول يخـافُ النـارَ تسـتعرُ

فـالقومُ لـولا عقـابُ البعـثِ مـا عبـدوا

ربـاً ولـولا الثـواب المرتجـى كفـروا

كأنمـا الديـنُ ضـربٌ مـن مَتـاجرهم

إن واظبـوا ربحـوا أو أهملـوا خسـروا

❖ ❖ ❖

ليس في الغابات دينٌ ... لا ولا الكفرُ القبيحْ

فإذا البلبلُ غنّى ... لم يقلْ هذا الصحيحْ

إنّ دينَ الناس يأتي ... مثلَ ظلٍّ ويروحْ

لم يقم في الأرض دينٌ ... بعد طه والمسيحْ

أعطني الناي وغنّ ... فالغنا خيرُ الصلاة

وأنينُ الناي يبقى ... بعد أن تفنى الحياةْ

❖ ❖ ❖

والعدلُ في الأرض يبكي الجنّ لو سمعوا

به ويستضحكُ الأموات لو نظروا

فالسجنُ والموتُ للجانينَ إن صغروا

والمجدُ والفخرُ والإثراء إن كبروا

فسارق الزهر مذمومٌ ومحتقرٌ

وسارقُ الحقل يُدعى الباسلُ الخطرُ

وقاتلُ الجسم مقتولٌ بفعلتهِ

وقاتلُ الروح لا تدري به البشرُ

❖ ❖ ❖

ليـــس فـــي الغابـــاتِ عـــدلٌ لا ولا فيـــــها العقـــــابْ

فـــإذا الصفصـــافُ ألقـــى ظلـــــهُ فـــــوقَ الـــــترابْ

لا يقـــولُ الســـــرو هـــــذي بدعـــــةٌ ضـــــدّ الكتـــــابْ

إن عـــــدلَ النـــــاس ثلـــــجٌ إن رأتـــــهُ الشـــــمسُ ذابْ

أعطنـــــي النـــــاي وغـــــنّ فالغنـــــا عـــــدل القلـــــوبْ

وأنـــــينُ النـــــاي يبقـــــى بعـــــد أن تفنـــــى الذنـــــوبْ

❖ ❖ ❖

والحـــقّ للعـــزم، والأرواحُ إن قويـــتْ

ســـادتّ وإنْ ضعفـــتْ حلـــتْ بـــها الغـــيرُ

ففـــي العرينـــةِ ريـــحٌ ليـــسَ يقربـــهُ

بنـــو الثعـــالب غـــابَ الأُسْـــدُ أم حضـــروا

وفـــي الزارازيـــر جـــبنٌ وهـــي طـــائرةٌ

وفـــي الـــبزاةِ شـــموخٌ وهـــي تحتضـــرُ

والعـــزمُ فـــي الـــروح حـــقٌ ليـــس ينكـــرهُ

عـــزمُ الســـواعد شـــاء النـــاس أم نكـــروا

فـــإن رأيـــتَ ضعيفـــاً ســـائداً فعلـــى

قـــوم إذا مـــا رأوا أشـــباههم نفـــروا

❖ ❖ ❖

ليس في الغابات عزمٌ لا ولا فيها الضعيفْ

فإذا ما الأسْدُ صاحتْ لم تقلْ هذا المخيفْ

إنّ عزمَ الناس ظلّ في فضا الفكر يطوفْ

وحقوق الناس تبلى مثل أوراق الخريفْ

أعطني الناياً وغنّ فالغنا عزمُ النفوسْ

وأنينُ الناي يبقى بعد أن تفنى الشموسْ

❖ ❖ ❖

والعلمُ في الناس سبلٌ بانَ أوّلها

أما أواخرها فاندهرُ والقدرُ

وأفضلُ العلم حلمٌ إنّ ظفرتَ به

وسرت ما بينَ أبناء الكرى سخروا

فإن رأيتَ أخا الأحلام منفرداً

عن قومهِ وهو منبوذٌ ومحتقرُ

فهو النبيُّ وبردُ الغدِّ يحجبهُ

عن أمةٍ برداء الأمس تأتزرُ

وهو الغريبُ عن الدنيا وساكنها

وهو المجاهرُ لامَ الناسُ أو عذروا

وهو الشديدُ وإنْ أبدى ملاينةً

وهو البعيدُ تدانى الناسُ أمْ هجروا

❖ ❖ ❖

ليس في الغابات علمْ لا ولا فيها الجهولْ

فإذا الأغصان مالتْ لم تقلْ هذا الجليلْ

إنّ علمَ الناس طراً كضباب في الحقولْ

فإذا الشمسُ أطلتْ من ورا الأفق يزولْ

أعطني الناياَ وغنّ فالغنا خيرُ العلومْ

وأنينُ الناي يبقى بعد أن تطفا النجومْ

❖ ❖ ❖

والحـــرُّ فـــي الأرض يبنـــي مـــن منازعـــهِ

ســـجناً لـــه وهـــو لا يـــدري فيؤتســـرُ

فـــإنْ تحـــرر مـــن أبنـــاء بجدتـــهِ

يظـــلّ عبـــداً لمـــن يـــهوى ويفتكـــرُ

فـــهو الأريـــبُ ولكـــن فـــي تصلبـــه

حتـــى وللحـــقّ بطـــلٌ بـــل هـــو البطـــرُ

وهـــو الطليـــقُ ولكـــنْ فـــي تســـرعه

حتـــى إلـــى أوج مجـــدٍ خـــالدٍ صغَـــرُ

❖ ❖ ❖

ليـــس فـــي الغابـــات حـــرٌ لا ولا العبـــــد الذميـــــمْ

إنمـــا الأمجـــادُ ســـخفٌ وفقـــــاقيعٌ تعـــــومْ

فـــإذا مـــا اللـــوزُ ألقـــى زهـــــرهُ فـــوقَ الهشـــيمْ

لـــم يقـــلْ هـــذا حقـــيرٌ وأنـــا المولـــى الكريـــمْ

أعطنـــي النـــايَ وغـــنّ فالغنـــا مجـــدٌ أثيـــلْ

وأنـــينُ النـــاي أبقـــى مـــن زنيـــم وجليـــلْ

❖ ❖ ❖

واللطفُ في الناس أصدافٌ وإن نعمت

أضلاعها لم تكن في جوفها الدررُ

فمن خبيثٍ له نفسان: واحدةٌ

من العجين وأخرى دونها الحجرُ

ومن خفيفٍ ومن مستأنثٍ خنثٍ

تكادُ تدمي ثنايا ثوبهِ الإبرُ

واللطفُ للنذل درعٌ يستجيرُ به

إن راعهُ وجلٌ أو هالهُ الخطرُ

فإن لقيت قوياً ليناً فبهِ

لأعينٍ فقدتْ أبصارها البصرُ

❖ ❖ ❖

ليس في الغاب لطيفٌ لينهُ لينُ الجبانْ

فغصونُ البان تعلو في جوار السنديانْ

وإذا الطاووس أعطي حلةً كالأرجوانْ

فهو لا يدري أحسنٌ فيه أم فيه افتتانْ

أعطني النايَ وغنّ فالغنا لطفُ الوديعْ

وأنينُ الناس أبقى من ضعيفٍ وضليعْ

❖ ❖ ❖

والظـرفُ فــي النــاس تمويــهٌ وأبغضُــهُ

ظـرفُ الألــى فـي فنــون الاقتــدا مــهروا

مـــن معجـــبٍ بـــأمورٍ وهـــو يجهلـــها

وليـــس فيـــها لـــه نفـــعٌ ولا ضـــررُ

ومـــن عتـــيٍّ يـــرى فـــي نفســـه ملكـــاً

فـــي صوتـــها نغـــمٌ فـــي لفظـــها ســـورُ

ومـــن شـــموخٍ غـــدتْ مرآتـــه فلكـــاً

وظلـــــهُ قمـــــراً يزهـــــو ويزدهـــــرُ

❖ ❖ ❖

ليس في الغابِ ظريفُ ظرفه ضعف الضئيلْ

فالضبا وهي عليلُ ما بها سقمُ العليلْ

إنّ بالأنهار طعماً مثل طعم السلسبيل

وبها هول وعزمْ يجرفُ الصلدَ الثقيلْ

أعطني النايَ وغنّ فالغنا ظرفُ الظريفْ

وأنينُ الناي أبقى من رقيق وكثيفْ

❖ ❖ ❖

والحبُّ في الناس أشكالٌ وأكثرها

كالعشبِ في الحقل لا زهرٌ ولا ثمرُ

وأكثرُ الحبّ مثلُ الراح أيسرهُ

يرضي وأكثرهُ للمدمن الخطرُ

والحبُّ إن قادت الأجسامُ موكبهُ

إلى فراش من الأغراض ينتحرُ

كأنهُ ملكٌ في الأسر معتقلٌ

يأبى الحياةَ وأعوانٌ له غدروا

❖ ❖ ❖

ليـــس فـــي الغـــابِ خليـــعٌ يدعـــــي نبـــلَ الغـــرامْ

فـــإذا الثـــيرانُ خـــارتْ لـــم تقـــلْ هـــذا الـــهيامْ

إنّ حـــــبّ النـــــاس داءٌ بـــين لحـــم وعظـــامْ

فـــإذا ولّـــى شـــبابٌ يختفـــي ذاك الســـقامْ

أعطنـــي النـــايَ وغـــنّ فالغنـــا حـــبٌّ صحيـــحْ

وأنـــينُ النـــاي أبقـــى مـــن جميـــل ومليـــحْ

❖ ❖ ❖

فـــإنْ لقيـــتَ محبـــاً هائمـــاً كلفـــاً

فـــي جوعـــه شـــبعٌ فـــي ورده الصـــدرُ

والنـاسُ قـالوا هـو المجنـونُ مـاذا عسـى

يبغـي مـن الحـب أو يرجـو فيصطـبرُ؟

أفـي هـوى تلـك يسـتدمي محـاجرهُ

وليـس فـي تلـك مـا يحلـو ويعتـبرُ!

فقـلْ هـمُ البـهمُ مـاتوا قبلمـا ولـدوا

أنّى دروا كُنْـهَ مـن يحيـي ومـا اختـبروا

ليـــس فـــي الغابـــاتِ عـــدلٌ لا ولا فيـــــها الرقيـــــبْ

فـــإذا الغـــزلانُ جنـــتْ إذْ تـــرى وجـــه المغيـــبْ

لا يقـــولُ النســـرُ واهـــاً إنّ ذا شـــــيء عجيـــــبْ

إنمـــا العـــاقلُ يدعـــى عندنـــا الأمـــرَ الغريـــبْ

أعطنـــي النـــايَ وغـــنّ فالغنـــا خـــيرُ الجنـــونْ

وأنـــينُ النـــاي أبقـــى مـــن حصيـــفٍ ورصـــينْ

❖ ❖ ❖

وقــلْ نســينا فخــارَ الفــاتحينَ ومــا

ننســى المجــانينَ حتــى يغمــرَ الغمــرُ

قد كـان فـي قلـب ذي القرنـين مجـزرةٌ

وفــي حشاشــة قيــس هيكــلٌ وقــرُ

ففــي انتصــاراتِ هــذا غلبــةٌ خفيــتْ

وفــي انكســارات هــذا الفــوزُ والظفــرُ

والحبّ فـي الـروح لا فـي الجسـم نعرفـهُ

كــالخمر للوحــي لا للســكر والظفــرُ

ليس في الغاباتِ ذكرٌ غير ذكر العاشقينْ

فالألى سادوا ومادوا وطغوا بالعالمينْ

أصبحوا مثل حروفٍ في أسامي المجرمينْ

فالهوى الفضاحُ يدعى عندنا الفتح المبينْ

أعطني الناياَ وغنّ وانسَ ظلمَ الأقوياء

إنما الزنبقُ كأسٌ للندى لا للدماء

❖ ❖ ❖

ومـا السـعادةُ فـي الدنيـا سـوى شـبح

يُرجـى فـإن صـار جسـماً ملّـه البشـرُ

كالنهر يركضُ نحو السهل مكتدحاً

حتـى إذا جـاءه يبطـي ويعتكـرُ

لـم يسـعد النـاسُ إلا فـي تشـوقهمْ

إلـى المنيـع فـإن صـاروا بـه فـتروا

فـإن لقيـت سـعيداً وهـو منصـرفٌ

عـن المنيـع فقـل فـي خلقـه العـبرُ

❖ ❖ ❖

ليـــس فـــي الغـــابِ رجـــاءٌ لا ولا فيـــــهِ الملـــــلْ

كيـف يرجـو الغـابُ جـزءاً وعلـــى الكـــلّ حصـــلْ؟

وبمـــا الســـعيُ بغـــاب أمـــلاً وهـــو الأمـــلْ؟

إنمـــا العيـــشُ رجـــاءٌ إحـــدى هـــاتيك العلـــلْ

أعطنـــي النـــايَ وغـــنّ فالغنـــا نـــارٌ ونـــورْ

وأنـــينُ النـــاي شـــوقٌ لا يدانيـــهِ الفتـــورْ

❖ ❖ ❖

وغايـةُ الـروح طـيَّ الـروح قـد خفيـتْ

فـــلا المظـــاهرُ تبديـــها ولا الصـــورُ

فـــذا يقـــولُ هـــي الأرواحُ إنْ بلغـــتْ

حـدَّ الكمـال تلاشـتْ وانقضـى الخـبرُ

كأنمـــا هـــي أثمـــارٌ إذا نضجـــتْ

ومـــرت الريـــحُ يومـــاً عافـــها الشـــجرُ

وإذْ يقـــولُ هـــي الأجســـامُ إنْ هجعـــتْ

لـم يبـقَ فـي الـروح تـهويمٌ ولا سـمرُ

كأنمـــا هـــي ظـــلٌّ فـــي الغديـــر إذا

تعكـــرَ المـــاءُ ولّـــتْ وامحـــى الأثـــرُ

ظـلَّ الجميـع فـلا الـذراتُ فـي جسـدٍ

تثـوى ولا هـي فـي الأرواح تحتضـرُ

فمـــا طـــوتْ شـــمألٌ أذيـــال عاقلـــةٍ

إلا ومـــر بـــها الشـــرقي فتنتشـــرُ

لـم أجـدْ فـي الغـابِ فرقـاً بـين نفـس وجسـدْ

فالـهوا مـاءٌ تـهادى والنـدى مـاءٌ ركـدْ

والشـذا زهـرٌ تمـادى والـثرى زهـرٌ جمـدْ

وظـلالُ الحـورِ حـورٌ ظـنّ ليـلاً فرقـدْ

أعطنـي النـايَ وغـنّ فالغنـا جسـمٌ وروحْ

وأنـينُ النـاي أبقـى مـن عبـوقٍ وصبـوحْ

❖ ❖ ❖

والجسمُ للروح رحمٌ تستكنُّ بهِ

حتى البلوغ فتستعلي وينغمرُ

فهي الجنينُ وما يومُ الحمام سوى

عهدِ المخاض فلا سقطٌ ولا عسرُ

لكن في الناس أشباحاً يلازمها

عقمُ القسيّ التي ما شدها وترُ

فهي الدخيلةُ والأرواحُ ما ولدتْ

من القفيل ولم يحبلْ بها المدرُ

وكمْ على الأرض من نبتٍ بلا أرجٍ

وكم علا الأفقَ غيمٌ ما به مطرُ

❖ ❖ ❖

ليس في الغابِ عقيمٌ ... لا ولا فيها الدخيلْ

إنّ في التمرِ نواةً ... حفظتْ سرّ النخيلْ

وبقرص الشهدِ رمزٌ ... عن قفيرٍ وحقولْ

إنما العاقرُ لفظٌ ... صيغ من معنى الخمولْ

أعطني الناي وغنّ ... فالغنا جسمٌ يسيلْ

وأنينُ الناي أبقى ... من مسوخٍ ونغولْ

والمـوتُ فــي الأرض لابــن الأرض خاتمــةٌ

وللأثـــيريّ فـــهو البـــــدءُ والظفـــــرُ

فمـــن يعـــانق فـــي أحلامـــه ســـحراً

يبـــقَ ومـــن نـــامَ كـــلَّ الليـــل يندثـــرُ

ومـــن يـــلازم تربـــاً حـــال يقظتـــه

يعـــانق الـــترب حتـــى تخمـــد الزهـــرُ

فـالموتُ كـالبحر، مـن خفـتْ عنـاصره

يجتـــازه، وأخـــو الأثقـــال ينحـــدرُ

❖ ❖ ❖

ليس في الغاباتِ موتٌ لا ولا فيها القبورْ

فإذا نيسانُ ولّى لم يمتْ معهُ السرورْ

إنّ هولَ الموتِ وهمٌ ينشي طيَّ الصدورْ

فالذي عاش ربيعاً كالذي عاش الدهورْ

أعطني النايَ وغنّ فالغنا سرُّ الخلودْ

وأنينُ الناي يبقى بعد أن يفنى الوجودْ

أعطني النايَ وغنّ وانسَ ما قلتُ وقلتا

إنما النطق هباءٌ فأفدني ما فعلتا

❖ ❖ ❖

هــل تخــذتَ الغــابَ مثلــي ... مـــــنزلاً دون القصـــــورْ

فتتبعـــــث الســـــواقي ... وتســـــلقت الصخـــــور؟

هـــل تحممـــت بعطـــر ... وتنشـــــقت بنـــــورْ

وشـــربت الفجـــرَ خمـــراً ... فـــي كـــؤوس مـــن أثـــيرْ؟

هـــل جلســتَ العصـــر مثلـــي ... بـــين جفنـــاتِ العنـــبْ

والعنـــــاقيد تدلـــــتْ ... كثريـــــاتِ الذهـــــبْ

فـــهي للصـــادي عيـــونٌ ... ولمـــن جـــاعَ الطعـــامْ

وهمـــي شـــهدٌ وهـــي عطـــرٌ ... ولمـــن شـــاء المـــدامْ

هـــل فرشـــتْ العشـــب ليـــلاً ... وتلحفـــــت الفضـــــا

زاهـــداً فـــي مـــا ســـيأتي ... ناســـياً مـــا قـــد مضـــى؟

❖ ❖ ❖

وســـــكوتُ الليـــــل بحـــــرٌ موجـــــه فـــــي مســـــمعكْ

وبصـــــدر الليـــــل قلـــــبٌ خـــــافق فـــــي مضجعـــــكْ

أعطنـــــي النـــــايَ وغـــــنّ وانـــــــــــــس داءً ودواء

إنمـــــا النـــــاسُ ســـــطورٌ كتبـــــتْ لكـــــن بمـــــاء

ليـــــت شـــــعري أي نفـــــعٍ فـــــي اجتمـــــاع وزحـــــامْ

وجـــــــدالٍ وضجيـــــــجٍ واحتجـــــاج وخصـــــامْ؟

كلـــــها أنفـــــاقُ خلـــــدٍ وخيـــــوط العنكبـــــوتْ

فـــــالذي يحيـــــا بعجـــــزٍ فـــــهو فـــــي بـــــطءٍ يمـــــوتْ

❖ ❖ ❖

العيــشُ فــي الغــابِ والأيــام لــو نظمــتْ

فــي قبضتــي لغــدتُ فــي الغــابِ تنتشــرُ

لكــن هــو الدهــرُ فــي نفســي لــه أربٌ

فكلمــا رمــتُ غابــاً قــام يعتــذرُ

وللتقــــادير ســــبلٌ لا تغيرهــــا

والنـاس فـي عجزهـم عـن قصدهـم قصـروا

تنسيق ورفع:

حمزة ربابعة